

**الملتقى الدولي: الإساءة إلى المقدسات الإسلامية بين سياقات حرية
التعبير وخطاب الكراهية 29/28 ديسمبر 2021**

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر

خطاب الكراهية والمقدسات الإسلامية

(آليات التشخيص ومنهج المعالجة)

Hate speech and Islamic sanctities

(Diagnostic mechanisms and treatment approach)

عبد القادر جعيد*

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر a.djaid@crsic.dz

تاريخ الإرسال: 2022/05/15 تاريخ القبول: 2022/09/12 تاريخ النشر: 2022/10/01

الملخص:

لقد شكل خطاب الكراهية في شقه المتعلق بالمقدسات عموما والإسلامية خصوصا ملمحا سلبيا في المجتمعات الغربية وأصبح يشكل خطرا على استقرارها بل وأصبح يهدد السلم والامن الدوليين مما يستدعي الاسراع في تشخيص الظاهرة والوقوف على منهج معالجتها. والاشكال الذي يطرحه موضوع مدخلتنا المعنونة بـ خطاب الكراهية والمقدسات الإسلامية (آليات التشخيص ومنهج المعالجة) والذي يدخل ضمن المحور السادس من المحاور الاساسية للملتقى الموسوم بـ "الإساءة الى المقدسات الإسلامية بين سياقات حرية التعبير وخطاب الكراهية".

حيث سنعالج فيها مفهوم الخطاب لغة واصطلاحا، وما هو مفهوم خطاب الكراهية لنعرج على تبين الحدود الفاصلة بين حرية التعبير التي تكفلها الشرائع السماوية والقوانين الوضعية وبين

الاعتداء على المقدسات في شقها المعنوي أو المادي؟، وكيف تعامل الإسلام مع خطاب الكراهية ضد المقدسات وقائيا وعلاجيا سواء من أتباعه أو من المخالفين له؟

الكلمات المفتاحية: خطاب؛ كراهية؛ مقدسات؛ وقاية؛ علاج.

Abstract:

Hate speech in its part related to sanctities in general, and Islamic sanctities in particular, has formed a negative feature in Western societies and has become a threat to their stability and even threatened international peace and security. (Diagnostic mechanisms and treatment approach), which is included within the sixth axis of the main axes of the forum marked with insulting Islamic sanctities between the contexts of freedom of expression and hate speech.

What are the boundaries between freedom of expression guaranteed by heavenly laws and man-made laws, and attacks on sanctities in their moral or material aspects? And how does Islam deal with hate speech against sanctities as preventive and curative, whether from its followers or those who leave it?

Keywords: speech, hate, sanctities, prevention, treatment.

مقدمة:

إن خطاب الكراهية بات يتنامى يوما بعد يوم في الدول الأوروبية خاصة والغربية عموما، وقد أخذ أشكالا متعددة إما بسب لون البشرة، أو اللغة أو المعتقد، أو الجهة، وأخطر ما فيه أن يطال المقدسات عموما والإسلامية خصوصا؛ هذا الأمر قد رسم ملمحا سلبيا في المجتمعات الغربية وأصبح يشكل خطرا على استقرارها بل وأصبح يهدد السلم والامن الدوليين ، مما يستدعي الاسراع في تشخيص الظاهرة والوقوف على منهج معالجتها.

والاشكال الذي يطرحه موضوع مدخلتنا المعنونة بـ خطاب الكراهية والمقدسات الإسلامية (آليات التشخيص ومنهج المعالجة) لماذا خطاب الكراهية يستفحل في الغرب؟ ولماذا يطال المقدسات الإسلامية خصوصاً؟ وقبل الخوض في الموضوع يستحسن بنا أن ننبه إلى أن الأهداف التي نتوخاها هي الوقوف على أهم آليات تشخيص أسباب الإساءة للمقدسات الإسلامية، أم الهدف الثاني هو تحديد سبل معالجة هذا المرض الأخلاقي، كما يجب من الناحية المنهجية أن نحدد بعض المفاهيم أهمها تعريف الخطاب لغة واصطلاحاً، ثم التعرّيج على التعريف بـخطاب الكراهية وماهي أشكاله لنصل إلى استراتيجية المنهج القرآني في معالجة خطاب الكراهية في شقه المتعلق بالمقدسات والاديان.

1. مفهوم الخطاب

1.1 تعريف الخطاب لغة

جاء في لسان العرب إن "الخطب الشأن، والأمر صغر أو عظم، ج: خطوب .وخطب المرأة خطبا، وخطبة وخطبي بكسرهما، واختطبها... والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام.... وخطب الخاطب على المنبر، واختطب، يخطب خطابة، واسم الكلام: الخطبة"¹، وجل التعاريف اللغوية في القواميس العربية القديمة كالصحيح للجوهري أو مقاييس اللغة لابن فارس، أو تاج العروس للزبيدي تدندن على نفس المعنى. فالخطاب على هذا المعنى، هو مستوى تواصل ذي أبعاد متعددة

2.1. تعريف الخطاب اصطلاحاً

إن مصطلح الخطاب مأخوذ من المصطلح اللاتيني **discours** المكون من المقطعين **cours + dis**، ويندرج خطاب ضمن سلسلة من المقابلات الكلاسيكية، وخاصة خطاب مقاب جملة: حيث يمثل الخطاب وحدة لسانية متكونة من جمل متعاقبة، وهذا هو المعنى الذي يقصده هاريس عندما يتحدث عن تحليل الخطاب ، كما يتحدث بعضهم عن نحو الخطاب، واليوم يفضل الحديث عن لسانيات النص²، كما "يعرف بأنه وحدة [لغوية] تساوي الجملة أو تزيد عنها لها بداية ونهاية مكونة بذلك متتالية كلامية من أجل تبليغ رسالة ما"³ وعليه يجب أن نفهم

الخطاب في مدلوله الأوسع، باعتباره كل تلفظ يفترض متكلما وسامعا، عند الاول نية القصد وهي التأثير في الثاني بشكل معين، وعليه فإن الخطاب فن مواجهة الخطوب والخطار، أي فن القول العملي بهدف التأثير في عقول المخاطبين وعواطفهم في آن واحد وذلك بغية توجيه إرادتهم ودفعها الى العمل⁴.

2. تعريف خطاب الكراهية

لا يوجد تعريف شامل ومحدد لخطاب الكراهية في اطار القانون الدولي وحتى الوطني، ولهذا السبب شاب هذا المفهوم نوع من اللبس والغموض بينه وبين مفهوم يباينه في المعنى ويتوافق معه في المآلات؛ وهو حرية التعبير. ولهذا جاء في وثيقة الأمم المتحدة عن استراتيجيتها في الحد من خطاب الكراهية إشارة لمفهوم خطاب الكراهية ما يلي: أي نوع من التواصل، الشفهي أو الكتابي أو السلوكي، الذي يهاجم أو يستخدم لغة ازدرائية أو تمييزية بالإشارة إلى شخص أو مجموعة على أساس الهوية، وبعبارة أخرى على أساس الدين أو الانتماء الاثني أو الجنسية أو العرق أو اللون أو الأصل أو نوع الجنس أو أحد العوامل الأخرى المحددة للهوية⁵. وقد عرفه أحد الباحثين بأنه

"عنف لفظي أو كتابي يتضمن تحريضا صريحا أو ضمنيا عدوانيا تشجع المتلقي على السلوك العنيف تجاه الآخر يستهدف وجوده وفكره ومعتقداته"⁶.

وفيما يتعلق بأعمال التحريض التي تؤدي إلى العنف؛ ينبغي أن تكون العناصر الآتية حاضرة : سياق يُفضي إلى العنف، ومتحدث مؤثر، وخطاب يُنشر على نطاق واسع، وجمهور متقبل ومتجاوب، وفئة مستهدفة) عادة ما تكون المجموعات المهمشة.

ولقد تكررت الإساءة إلى مقدسات المسلمين في الآونة الأخيرة بشكل لافت للنظر، نالت من النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كتاب الله عز وجل ، وغير ذلك من المقدسات .

كما تنوعت مصادرها وتعددت اتجاهاتها، مما ينم عن منهجية غريبة راسخة في مواجهة معتقدات الأمة وثوابتها، وهو ما يعني بالضرورة أهمية وجود استراتيجية شاملة للمواجهة لا تقف عند حدّ الانفعال العاطفي المجرد.

3 استراتيجيات مواجهة خطاب الكراهية في القرآن الكريم

لقد تبني القرآن الكريم منهجا فريدا في ضبط النفس البشرية التي يعلم الله أسرارها ، ولذا جعل منزلتها رفيعة القدر على جميع مخلوقاته وزودها بالفطرة السليمة، وأكرم هذا المخلوق العجيب بالعقل حتى يسلك طريق الرشاد بما تقتضيه الرسالة التي أنيط بها ويؤديها على أكمل وجه، حيث يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة 30. كما تعهده بالرسل المبشرين والهداة المندرين حتى لا تنزل به القدم، ويسقط في فخ الشيطان الرجيم، وأهواء النفس الامارة بالسوء. وكلفه بواجب العبودية لله وحده يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات 56. وحذره من مغبة الزيف عن هذا الصراط المستقيم لأن عقابه الندم ولات حين مندم. ويمكن أن نوجز هذه الاستراتيجيات القرآنية لمعالجة موضوع الإساءة للمقدسات من خلال جملة من العناصر على النحو التالي:

1.3 عدم الاساءة للنفس والغير

إن ما يستشف من منهج تعامل القرآن الكريم مع الاساءة للنفس أو الغير أو حتى البيئة والحيوان والذي قد يتقاطع معه خطاب الكراهية في بعض المساحات المشتركة هو أسلوب الترغيب والذي يحمل في جنباته طابع وقائي متدرج أرشد المؤمنين على أن يحسنوا في كل شيء قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة 195.

وقال أيضا عزّ من قائل: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ الرحمن 60. وقد أمرهم بألا يُسيئوا إلى أنفسهم ولا إلى غيرهم، حيث يقول عزّ وجلّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فصلت 46 ، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ الجاثية 15 وقال تعالى أيضا: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ

وَأِنْ أَسَأْتُمْ فَلَةَ الْإِسْرَاءِ 7 ، وهذا تأكيد على ما معناه أن إساءة الإنسان واحسانه يعود عليه بالخير أو بالوبال قبل غيره.

2.3. تحريم الظلم مهما كانت مبرراته:

أنه لمن دواعي الفخر والعزة أن نجد المنهج القرآني يرسم هذا المسار الوقائي المتميز لخريطة نشأة الانسان من لحظة ميلاده الى آخر لحظة يفارق فيها الحياة عبر عرض ومضات لمشاهد مصورة لما يمكن ان تكون عليه النفس البشرية التي ملّكها المولى تبارك وتعالى زمام أمرها ودلها على سبيلين لا ثالث لهما سبيل الرشاد وسبيل الخسران، وحذره من مغبة الظلم حيث جاء في الأثر عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ، يا عبادي كلّم ضال إلا من هديته، فاستهويني أهدكم، يا عبادي كلّم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلّم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب واحد منكم ما نقص من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل واحد مسأله ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) رواه مسلم .

3.3. التواضع والابتعاد عن عيوب الناس وسترها

لقد كشف المنهج القرآني للإنسان عيوبه وأمراضه ودله على طريقة علاجها حتى يستطيع أن يعيش عيشة سعيدة وهنيئة، وأول هذا الخلق أن لا يتكبر على خلق الله وليعلم أن الله يراقبه وأنه سيجزيه على عمله كبيره وصغيره ولهذا كانت وصية لقمان الحكيم لابنه وهو يعضه بتجنب هذه المفاسد الخلقية حيث يقول المولى تبارك وتعالى موضحا هذا المشهد: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ

بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿ لقمان 17-18-19. كما عاجلت سورة الحجرات بعض الامراض النفسية التي تخرش بين الناس وتذكي نار الحقد والكراهية حيث قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَحْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿ الحجرات 11-12.

4.3 الدين في القول والتلطف في المعاملة

لقد مدح الله نبيه محمد ﷺ وأثنى على خلقه فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿ القلم 04 وأثنى على صدقه فقال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿ النجم 3-4 وأثنى على سماحته وصفاء قلبه بقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴿ آل عمران 159. وقد الزم الله عباده باتباع نبيه والأخذ عنه والاتصاف بأخلاقه ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿الحشر 7. كما رغب المولى تبارك وتعالى عباده المؤمنين في الدين في القول للمخالف حتى يستبين طريق الرشاد من طريق الزيغ فلعل ذلك ينجيه قال عز وجل ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿ طه 43-44.

ودلّ في محكم تنزيله على التلطف في المعاملة والتجمل في الطلب وهذا ما قصه علينا القرآن في قصة أصحاب الكهف حيث قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لَيِّسَاءً لِيَبَيِّنَهُمْ قَال قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿ الكهف. (19) وهذا كله لدعي اجتثاث مواطن الكراهية بين بني آدم.

5.3 مقابلة الاساء بالحسنة في المعاملة

إن المنهج القرآني وطَّن اتباعه على الاحسان في كل شيء فقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة 195، وأرشدهم الى عدم ردِّ الاساءة بإساءة مثلها لأن ذلك يذكي نار الحقد ويزيد من شراسة الخصومة، وتدب روح الكراهية وتستعر استعاراً فكان الهدي القرآني يرسم معالم الطريق المنجي انسانيا والأقل كلفة اقتصاديا، والاسما أخلاقيا، والارقي حضاريا.

وهذا ما نلمسه في كلام الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ فضلت 34. بل ما فتى يجرّض المؤمنين على يتخيروا كلمهم، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة 83 ، بل أن ما جاء في المنهج القرآني ليؤكد أن المولى تبارك وتعالى أمر نبيه مُحَمَّد ﷺ بأن يحث المسلمين ويبلغهم بانتقاء أحسن العبارات وألطف المعاني حتى يحدث الانسجام والتعايش وتسود روح المحبة وتوآد منابت الفتنة في مهدها حيث يقول الرحمن الرحيم ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ الاسراء 53.

6.3 العفو عن المسيء والصفح عنه

إن من أعظم الاخلاق التي أرشد اليها المنهج القرآني في المعاملة مع الغير هي الصفح على من أساء اليك ومساعدته ما لم تمس هذه الاساءة بما يقوض بنيان الدين كله، لان هذه الصفة الحميدة والتي لا تصدر الا عن نفس عزيزة قادرة على تنفيذ وعيدها لكنها تترفع إلى منازل العظماء والأشراف لتفضل على المسيء بفرصة النجاة من العقوبة وتعطيه فرصة المراجعة والاستدراك والتحقق من ذميم فعله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ التغابن 14. وهذه المسامحة ستؤدي بالضرورة عند العقلاء إلى تفشي خلق الاحترام والتقدير والمحبة وبناء جسور للتواصل الايجابي.

7.3 النهي عن سب الاديان والاساءة الى أهلها

لقد نحى الاسلام اتباعه من التنقص والخط من قدر الاديان وأهلها وتسفيه معتقداتهم حتى وإن كانت في نظر الاسلام زائفة -وكذلك هي- لأن المنهج القرآني يأخذ بيد الانسان ويتدرج به حتى ينشرح صدره للإسلام ولهذا كان الحد الفاصل في توضيح المعاملة بين أصحاب الديانات المناوئة له وهذا ما نستشفه من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الكافرون، بل زاد المنهج القرآني توضيحا لهذه المسألة حينما زجر أتباعه ونهاهم عن سباب معتقدات أصحاب الديانات المخالفة والتقليل من شأن مقدساتهم حتى لا يسبوا الله، ويسبوا رسوله جهلا وعدوانا حيث يقول العزيز القدير ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الأنعام 108. وقد جعل علماء الاصول منها قاعدة فقهية عظيمة، إذ أقرروا بترك المصلحة إذا كان يترتب عليها مفسدة.

وعليه لا بد قبل تبني أي فهم، أو إصدار أي حكم في أمر ما، من النظر في مآلات ذلك الأمر وتقدير عواقبه وتداعياته وانعكاساته، ولا يخفى على عاقل أن الإقدام على قتل من أساء إلى المقدس فضلا عن تحافته وضعفه، فلن يؤدي إلا إلى مفاسد كبيرة، وعواقب وخيمة، خاصة في مرحلة الضعف هذه التي لا توجد للمسلمين سطوة ولا شوكة تذود عن حماهم وحمى مقدساتهم منها تمثيلا لا حصرا:

- ✓ الاعتداء على المسلمين في البلاد الأجنبية.
- ✓ تشويه صورة الإسلام والمسلمين واتهامه بالإرهاب.
- ✓ إغراء أعداء الإسلام بالمزيد من الإساءة لمقدساتنا لاستفزاز المسلمين ودفعهم للقيام بردود فعل عنيفة ومنفرة من دعوة الإسلام.

✓ صرف المسلمين عن تركيز عن جوهر دعوتهم التي تفتح القلوب وترشد العقول وادخالهم في معارك هامشية لا طائل منها.

وإذا كان الأمر كذلك، قرآنا وسنة ومقاصد، فمن أين أتى ذلك الفهم المتبني لخيار العنف والقتل؟

بلا شك أتى هذا الغلو الممقوت من بعض المتحمسين العاطفيين من بني جلدتنا ممن لا قدرة لهم على قلب النظر في الآراء المختلفة.

وكما قيل في المثل العربي "رب ضارة نافعة"، ونقول رب كاره، مُعَادٍ، عاد كأنه ولي حميم، هذه عجائب الله في خلقه يظل من يشاء ويهدي من يشاء، إننا نرى ونسمع كل يوم في بلاد الاعاجم، كم من محارب للمقدسات الاسلامية، ومتهمك عليها أصبح من أكثر الناس دفاعا عليها بالنفس والمال بل تجاوز المسلمين العرب، وأصبحوا تلامذة له في الدعوة والتعريف بالإسلام والامثلة أكثر من أن تحصى.

وقد يكون في الإساءة خير للأمة والدين انطلاقا من القاعدة القرآنية المستخلصة من قوله تعالى:

﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة 216 ، إنَّ هذا الصراع مع الآخر هو فرصة ذهبية لبيان موقع قوة الأمة في ساحة التدافع الحضاري، ومناسبة كريمة للتعريف بقيم هذا الدين العظيم، ونشر تعاليمه بين غير المسلمين خاصة وأن الغرب متعطش لمعرفة دين الإسلام ونبيه مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، وتصحيح الثقافة المغلوطة عن الإسلام والمسلمين، واكتشاف الذات الإنسانية من خلال النافذة الروحية التي يدعوا إليه الدين، لأن التفسير المادي للحياة حطم الإنسان الغربي ودمر آدميته وفطرته.

إذن كيف نرد؟ إننا نريد لشبابنا المسلم أن يوفر طاقاته، لأن النصرة لا تكون في الصراخ والتظاهر والفوران الزائد عن حده، بل تكون صدق النية والالتزام الصحيح والتعبير في صمت وصناعة الموقف المؤثر، لذلك ينبغي أن نغير أسلوبنا في النصرة بأن نطلق العنان للإبداع الراقي

وتفجير الطاقات والقدرات العقلية الذاتية للرد الحضاري واستغلال هذه المناسبة لإطلاق حملات على مستوى واسع عالميا للتعريف بالإسلام وقيمه والتعريف برسوله الكريم وأخلاقه السمحة وإنجازاته العظيمة بكل لغات العالم، ونقل قيم الرحمة للكون، لأن قيم القرآن نزلت عموديا من السماء إلى الأرض، لكي تمد أفقيا وتعبّر القارات وتضم أطراف الأرض على لغة واحدة هي لغة التوحيد

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الانبياء 107 وهي دعوة لكل من يملك أداة للتعبير، وقوة من قوى الدفع الحضارية أن يسهم بمجهوداته وإبداعاته لنصرة نبيه الأعظم، وليرجوا الأجر والثواب من رب العزة .وليستفرغ الوسع في الدفاع والنصرة لهذا الدين والدعوة إليه وخدمة الإنسانية حتى نحقق الشهود الحضاري على الأمم ونكون في مستوى إسلامنا.

الخاتمة

إن خطاب الكراهية المنصب على المقدسات عموما والمقدسات الإسلامية على وجه الخصوص بات مسلكا يؤرق الدول والمنظمات الرسمية والغير رسمية والذي يعكس مدى الانحدار التي آلت اليه منظومة القيم الأخلاقية والسلوكية والذي يهدد الإنسانية قاطبة ويقوض الحضارة الغربية ، إذ لا معنى لمدينة ترفض الآخر على أساس عرقي أو ديني، أو جغرافي، أو جنسي أو حتى طبقي.

لقد آن الأوان أن تتبنى الدول الإسلامية المنهج القرآني بما يقدمه من ضوابط عملية لكيفية التعامل مع المقدسات في إطار التعايش السلمي، والذي يكفل الاحترام المتبادل والتعاون المشترك حيث تستطيع المجتمعات أن تنعم بالأمن والسلام في ظل مبادئ واقعية وموضوعية تتيح مساحات فسيحة لتبادل الخبرات والتجارب بعيدا عن التشنجات والتطرف المقيت.

إنه لمن المؤسف حقا أن تهدر الأرواح البريئة دون وجه حقا، ولأسباب واهية لم يقرها أي دين سماوي وأن ترفع دعاوى كاذبة ومغرضة ضد المقدسات الإسلامية ليس من ورائها غير كبر واستعلاء، أو عنجهية زائفة، أو حقد دفين.

وإنه لمن الانحدار الحضاري أن تجيش الأقلام الخسيسة، ويدفع بالأيادي الأثمة للمواجهة في خصومة مفتعلة بين أتباع الديانات المختلفة والأيديولوجيات في معارك دامية بعيدا عن ساحة الفكر الهادئ والحوار البناء ، وأنه لمن التواطئي أن يوجه الإعلام بكل أطيافه لطمس الحقيقة ووأد الحرية من جهة وتأليب الشعوب بعضها على بعض لانتهاك حرمة المقدسات من جهة ثانية، وبالتالي الزج بالضمير الجمعي الاسلامي المتحرش به إلى معارك هامشية تخرجه عن دائرة الإشهاد الحضاري وتضيع عليه الوقت وترفع من تكاليف هذه المواجهة. وفي الأخير هذه بعض التوصيات نقترحها في هذه الورقات خدمة لمقدسات الاسلامية وحماية لها.

- تبني المنهج الوسطي الذي يفضي بالضرورة الى الخطاب المعتدل البعيد عن التعصب والافتخار باللون، والجنس واللغة.

- الانفتاح على الآخر دون الدوبان فيه، مع توخي الحدود الفاصلة التي تراعي الاصول الثابتة في الدين والتي تحفظ بها عناصر الهوية، وبين الفروع التي تبقى مسائل اجتهادية تختلف حسب البيئات والازمنة.

- ترك مجال الحوار والمناقشة مفتوحا في مسائل المقدسات بشرط أن يكون بين العلماء وأهل الرأي والمؤهلين علميا وأخلاقيا وثقافيا حتى يتوصلوا الى الحقائق الموضوعية والتي فيها سعادة الانسانية واعمار الارض قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِهْنَأْ وَإِهْنَأْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ العنكبوت 46.

- العمل على إيجاد مرجعية إسلامية موحدة في الغرب لمواجهة الإساءة إلى المقدسات الإسلامية وتشويه صورة المسلمين والشروع في تأسيس مرصد لتوثيق أعمال الإساءة للمقدسات الإسلامية بجميع أشكالها ومصادرها من أجل التوصل إلى انجع السبل للرد عليها وتخفيف منابعتها.

- ضرورة استغلال الإعلام والإنتاج السينمائي والأعمال الدرامية والأفلام الكرتونية ووسائل التواصل الاجتماعي لتصحيح صورة الإسلام وسماحة نبيه الكريم لدى الآخرين، لمواجهة حملات الإساءة الممنهجة.

- إبراز الدور الإيجابي للعلماء والكتاب والمثقفين، والأعمال الترجمة كوسيلة للتصدي للإساءة إلى المقدسات الإسلامية وما يمكن أن تتطلع به في صد خطاب الكراهية خاصة اذا كانت من البارعين أصحاب القلوب النقية والعقول الذكية.

- الإسراع في تبني المنهج القرآني في ادارة الحوار مع الآخر، والالتفاف على أساليبه في طريقة التعامل مع المقدسات وأهلها وطريقة رد افتراءاتها وأكاذيبها.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. أدونيس، صدمة الحداثة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1986، 5.
3. باتريك شارودو-دومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر الفهري وحمادي صمود، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008.
4. الفيروز آبادي (مُجدد بن يعقوب)، القاموس المحيط، دار الحديث، مصر، 2008.
5. مقبل صالح الصباحي، أنواع خطاب الكراهية وتعامل القرآن معها، المجلة العلمية لجامعة إقليم سبأ، يونيو 2021م، مج25، العدد1.
6. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة.
7. Jean Dubois et autres, Linguistique et sciences du Langage ; Larousse, Paris, edition 2007 .
8. استراتيجية الأمم المتحدة وخطة عملها بشأن خطاب الكراهية.

الهوامش:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ص1194. الفيروز آبادي (مُجَّد بن يعقوب)، القاموس المحيط، دار الحديث، مصر، 2008، ص478.
- 2- باتريك شارودو-دومينييك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر الفهري وحمادي صمود، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، ص180.
- 3-Jean Dubois et autres, Lingustique et sciences du Langage ; Larousse, Paris, edition 2007, p150.
- 4- ينظر أدونيس، صدمة الحداثة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1986، ص5، ص301.
- 5- ينظر استراتيجية الأمم المتحدة وخطة عملها بشأن خطاب الكراهية، ص2.
- 6-مقبل صالح الصباحي، أنواع خطاب الكراهية وتعامل القرآن معها، المجلة العلمية لجامعة إقليم سبأ، يونيو 2021م، مج25، العدد1، ص68.